

صداقة حميمة

الصحفى الكبير

وجيه أبو ذكرى

عشقت هذا الرجل الذى بسببه
أضربت يوماً عن العمل لأنه شيوعى

صاح رئيس قسم الشؤون العربية بمجلة آخر ساعة فى حدة وانفعال.. وأعلن على الملأ قائلاً.. لن أعمل مع رئيس التحرير هذا.. لن أتعامل مع هذا الرجل الشيوعى.. سوف أضرب عن العمل الصحفى ولن أكتب حرفاً واحداً بعد الآن.

كان هذا فى عام ١٩٦٦م الذى شهد بعض التغييرات فى القيادات الصحفية بين رؤساء التحرير.. وجاء الكاتب الكبير الراحل صلاح حافظ رئيساً فى ذلك الحين لتحرير مجلة آخر ساعة وانتشرت شائعة قوية سبقت خطواته داخل المجلة تؤكد شيوعيته..

كان وجيه أبو ذكرى رئيس قسم الشؤون العربية بمجلة آخر ساعة لا يطبق الشيوعيين ويكرههم كرهاً شديداً.. ووقف متحفظاً متأهباً للهجوم على رئيس التحرير الجديد وصديقه فيليب جلاب الذى جاء يصطحبه معه إلى المجلة وكان صديقه الحميم.

وحدثت المواجهة فى إحدى الجلسات وكان يحضرها كل من الصحفى وجيه أبو ذكرى رئيس قسم الشؤون العربية وفيليب جلاب رئيس قسم الخارجى.

ودارت المناقشة بين جموع الحاضرين وإذا بالصحفى فيليب جلاب يدلى برأيه حول صحافة أخبار اليوم ويصفها بأنها صحافة الإثارة والجنس.

أثار ذلك حفيظة وجيه أبو ذكرى فقد بدأ حياته الصحفية بدار أخبار اليوم فاشتعل الفتيل داخل نفسه وقرر إثارة القلاقل لفيليب وصديقه رئيس التحرير..

وقرر وجيه أبو ذكرى الإضراب عن العمل. فتوقف عن كتابة أى تحقيقات أو موضوعات، ولم يبخل عليه الكاتب الكبير محسن محمد والذي كان يعمل نائباً لرئيس تحرير الأخبار فى ذلك الوقت بالنصيحة عندما توجه إليه لاستشارته فى موقفه وما هو مقدم عليه. طلب منه محسن محمد إلغاء فكرة التوقف عن الكتابة وحثه على مزيد من العمل المتقن وكتابة أحلى ما عنده. حتى يكون ذلك مبرراً للهجوم إذا امتنع رئيس التحرير عن نشر تحقيقاته فإن ذلك يصبح سبباً مقبولاً لشن حملة ضدهما يتقبلها الآخرون.. وليس بسبب أنهما شيوعيان، وحتى يستطيع كسب الجولة.. اقتنع وجيه برأى صديقه ووافق على فكرته..

وتصادف أن قامت وكالات الأنباء العالمية بحملة شعواء ضد مصر فى ذلك الوقت بنشر إيماءات بأن اليهود يضطهدون بها وأن هناك ممارسات قمعية ضد الآلاف الخمسة من اليهود الذين يعيشون بأرضها. ورأى وجيه أبو ذكرى أن مقابلة الحاخام اليهودى بمصر هى الحل الأمثل والوحيد للقضاء على الحملة المدبرة ضد مصر ووضع النقاط على الحروف.. اصطحب المصور محمد رشوان.. وأكد الحاخام فى حوارهِ أن اليهود فى أمان بمصر ولا توجد أى ممارسات اضطهادية ضدهم ولكن هناك إجراءات أمن فقط بعد هجرة ١١٥ ألف يهودى من مصر.. وقال إن من يعيشون بمصر من اليهود هم عاشقون لأرضها..

كتب وجيه التحقيق بأسلوب شيق وهو يعلم علم اليقين أن التحقيق لن ينشر.. وكانت المفاجأة!!.. صدرت مجلة آخر ساعة يوم الأربعاء كالعادة ونشر بها تحقيق الحاخام اليهودى على أربع صفحات مرفق به

الصور لوجيهه أبو ذكرى مع الحاخام.. نهل وجيهه.. أصابته الدهشة!!
لم يصدق نفسه عندما وجد أن رئيس التحرير صلاح حافظ قد وضع
عناوين جديدة بنفسه للموضوع لم يقرأ أحلى منها فى حياته.. وكانت
المقدمة من أروع ما يكون..

تقابلا.. كان اللقاء بينهما بداية لشيء جديد.. ذهب وجيهه إلى
رئيس التحرير يشكره على الرغم من موقفه منه.. فأجابه الصحفى
الكبير صلاح حافظ قائلاً إن نجاح أى موضوع هو نجاح للمجلة ولرئيس
تحريرها لقد فعلت هذا لمصلحة المجلة.. وليس من أجلك.

يقول الكاتب الكبير وجيهه أبو ذكرى فى وصف صلاح حافظ لقد
عشقت هذا الرجل شديد البساطة لدرجة أعتقادك بأنك ابن له أو أنه
صديقك الحميم.. لقد أحببت الشيوعية من خلاله.. لقد كان مفكراً
متحضراً..

ويصف تلك الفترة التى عملا فيها معاً قائلاً.. كان لصلاح حافظ
نظرية ذات مفهوم جديد فى العمل لم آلفه مع من عملت معهم مسبقاً..
كان يرى أن الإغداق على الصحفى بالمال ضرورة حتى لا ينحرف..
كان يجد أن الموضوع الجيد يفرض نفسه مهما كانت علاقة صاحبه
برئيس التحرير.. وكان رافضاً لمبدأ الشللية فى العمل..

ويتذكر وجيهه أبو ذكرى واقعة لم تسقط ولم ينسها أبداً.. فيقول.. فى
أحد الأيام وأنا أجلس بمكتبى بالمجلة وجدت صلاح حافظ أمامى واقفاً
بشحمه ولحمه يسألنى بحنان أبوى.. أنت فىن يا وجيهه؟ فىن شغلك؟
ماذا بك؟

فأجيبته.. أنا مفلس.. وعندما لا يكون معى نقود أفقد حماسى لكل شىء حتى العمل ولا أستطيع التركيز.. وفى اليوم التالى ذهبت إلى عملى وجلست بمكتبى وإذا بى أجد ورقة وعليها توقيع رئيس التحرير مرسلة إلى الإدارة بصرف مكافأة لى قدرها خمسون جنيها..

كان لصالح حافظ مقدرة على إخراج أفضل ما فى الصحفى من إبداع وموهبة وتبنى المواهب لدرجة إعادة كتابة موضوع لصحفى حديث العهد بيديه بكل بساطة وتواضع.. وكان يؤمن بالرأى الآخر.. من السهل أن ينشر مقالة لشخص يتعرض له هو شخصياً بلا أدنى تردد..

ولم يتوقف نهر الذكريات فى تدفقه فى ذهن وعقل الكاتب الصحفى وجيهه أبو ذكرى.. فقد تلاطمت أمواجه وقفزت به فى البداية سنة ١٩٦١م عندما كان يعمل مندوباً لجريدة الأخبار بوزارة التموين.. ويأمل أن يصبح محرراً للشئون العربية.. فالمقال كان قضيته التى تستهويه أكثر من جلب المعلومات والخبر.. فكر ماذا يفعل؟.. لجأ وجيهه إلى الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين الذى كان رئيساً لقسم الشئون العربية بمجلة آخر ساعة حينذاك.. دار حوار بين أحمد بهاء الدين والصحفى المبتدئ واكتشف الأستاذ مدى استيعابه لكل التيارات السياسية المحيطة به.. تبنى أحمد بهاء الدين الصحفى الطموح.. ساعده على شق طريقه فى قسم الشئون العربية.. كان يمدّه بالكتب التى يحب قراءتها ويناقشها معه بعد ذلك.. كان يقدمه بنفسه إلى كل القيادات السياسية ويعرفهم به حتى أصبح معروفاً لديهم.. وتمكن وجيهه أبو ذكرى من تحقيق عدد من الانتصارات فى عمل موضوعات عربية كان لها أبلغ الأثر.

واقترح الصحفى وجيه أبو ذكرى على رئيس تحرير مجلة آخر ساعة فى ذلك الوقت فقام بعمل تحقيق عن كيفية إقامة جيش للفلسطينيين عام ١٩٦١م.. فرفض.. وطلب من وجيه عمل تحقيقات سريعة عن أسباب الازدحام المرورى فى القاهرة..

وانتهى وجيه أبو ذكرى من تحقيقه إلى ذكر أسباب الازدحام وأكد ضرورة اختفاء العربات الكارو من الشوارع الرئيسية بالقاهرة وكذلك الشاحنات الكبيرة.. ولم تنشر الموضوعات.. ولكن مع مرور الوقت تحول وجيه أبو ذكرى إلى محرر ناجح فى قسم الشئون العربية.. فطعنه رئيس التحرير طعنة مباغتة ونشر موضوع العربات الكارو وكأنما أراد أن يقول إن وجيه أبو ذكرى صحفى العربات الكارو...

ظل هذا الحدث جرحًا لا يندمل وسرًا بداخل النفس لا يتحدث عنه أبدًا.. لكنه لم ينسه.

وتمر الأيام وتتوالى الأحداث.. ويصبح وجيه أبو ذكرى قلما مميزا من الكتاب السياسيين يشار إليهم بالبنان وتصبح حملاته الصحفية علامات على طريق الوقوف فى وجه الفساد والمحسوبية والظلم ولم ينجح رئيس التحرير فى النيل من نجاحاته وتميزه.

وتلفت إحدى هذه اليوميات نظر الأديب الكبير يوسف إدريس بأسلوبه الشيق الممتع.. فيقاجأ الصحفى الكبير وجيه أبو ذكرى بجرس التليفون وعلى الطرف الآخر الأديب الكبير..

قال له.. لقد قرأت يومياتك اليوم.. إنها رائعة.. أنت قصاص موهوب.. عليك من الآن بكتابة القصة.. وسيكون لك شأن فى هذا المجال..

وكتب وجيهه أول قصة قصيرة تحت عنوان «عامل التحويلة» ولكنه لم ينشرها.. فقرر عمل مجموعة من القصص القصيرة ونشرها بكتاب.. وكان كتاب «شاليه السلطة» الذى تضمن عشر قصص قصيرة وتم اختيار أربع قصص لعمل فيلم سينمائى.. وتحققت نبوءة الأديب الكبير الراحل يوسف إدريس التى كانت نقطة تحول فى حياة الصحفي الكبير.

